جامعة عبد الرحمن ميرة . بجاية

قسم اللغة والأدب العربي

الأستاذ المحاضر: د/ ربيحة وزان

المقياس: تعليمية النحو العربي

المستوى: سنة أولى ماستر / مج1

التخصص: لسانيات عربية

الملخص:

. نشأة النحو العربي:

نشأ النحو العربي في أواخر القرن الأول الهجري في البصرة لأسباب دينية ترجع إلى الحرص الشديد على قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة، وأسباب اجتماعية تعود إلى شيوع اللحن على الألسنة، وخاصة في الأمصار؛ حيث« اختلط نطق شعوبها للعربية بعاداتها اللغوية، إلى جانب ما حدث للسليقة اللغوية عند العرب النازلين بالأمصار لبعدهم عن ينابيع اللغة الفصحى، فأحست الشعوب هناك بحاجتها إلى تحديد أوضاع العربية الصحيحة لهم حتى يجيدوها ويتمثلوها».

كما تعود نشأة النحو إلى أسباب قومية تتمثل في اعتزاز العرب بلغتهم وخشيتهم عليها من الذوبان في اللغات الأعجمية، وكذلك لغرض تعليمي هدفه نبذ اللّحن والخطأ، ونشر العربية بين أفراد الجيل الجديد من العرب وغيرهم الذين وفدوا على الإسلام، وعلى الحضارة العربية الإسلامية.

أما عن **أهم من بحث وألف في النحو**، فسأورد قول ابن خلدون الذي يلخص فيه مسيرة التأليف النحوي:« وأول من كتب فيها أبو الأسود الدؤلي من بني كنانة، ويقال بإشارة من علي رضي الله عنه (...) ثم كتب فيها الناس من بعده إلى أن انتهت إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي (...) وأخذها عنه سيبويه فكمَّل تفاريعها واستكثر من أدلتها (...) ثم وضع أبو علي الفارسي وأبو القاسم الزجاج كتبا مختصرة للمتعلمين يحذون فيها حذو الإمام في كتابه، ثم طال الكلام في هذه الصناعة وحدث الخلاف بين أهلها في الكوفة والبصرة (...) وتباينت الطرق في التعليم، وطال ذلك على المتعلمين، وجاء المتأخرون بمذاهبهم في الاختصار فاختصروا كثيرا من ذلك الطول (...)، كما فعل ابن مالك في كتاب التسهيل وأمثاله...».

ومختصر القول، إن تفشي اللحن في العربية، وخوف العرب من وقوعه في القرآن الكريم لم يكن السبب الوحيد الذي دعاهم إلى وضع النحو، بل هناك بواعث أخرى« ففهم النص القرآني »، والتعرف على أسراره كان هدفا يتوخاه كل مسلم، وعلم النحو هو أقرب العلوم اللغوية إلى هذه الغاية، كما أن حاجة المسلمين من غير العرب إلى تعلّم العربية والتعبّد بكتابها الخالد، والحرص أول الأمر على تعلّمها دعاهم إلى وضع القواعد التي تضبط الاستعمال اللساني للغة العربية الصحيحة.

هذا عن **أسباب نشأة النحو** باختصار، أما **مفهومه** فقد تعدّدت التعريفات المتعلقة به لدى المختصين بحسب تنوع الأهداف، والموضوعات المعالجة في ميدان الدراسات اللسانية والنحوية، والمنطلقات التأصيلية، فمن أشهر **التعريفات** التي صاغها كل من علماء النحو واللسان (العرب) مايلي :

. يعرف ابن جني النحو قائلا: « هو انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير، والتكسير والإضافة، والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها ردَّ به إليها، وهو في الأصل مصدر شائع؛ أي نحوت نحوا، كقولك: قصدت قصدا، ثم خصّ به انتحاء هذا القبيل من العلم...» ففي عبارة ابن جني تعريفان للنحو، تعريف لغوي حين قال:« وهو في الأصل مصدر شائع أي نحوت نحوا، كقولك: قصدت قصدا » أما التعريف الاصطلاحي كما تمثله ابن جني وتصوره فهو (أي النحو) اكتساب قدرات وعادات لغوية شائعة بين أفراد المجتمع اللغوي العربي المتجانس، «ولا يمكن أن يتحقق هذا الاكتساب إلاّ بالتعلّم» سواء أكان هذا المتعلم عربيا ضعفت سليقته تحت تأثير الاختلاط بالأعاجم، أم ابتعاده عن البيئة اللغوية العربية، أم كان أجنبيا.

ويفسر الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح المقصود بانتحاء سمت كلام العرب لدى نحاة العربية بأنه تكييف الأمثلة التي سبق اكتسابها عن طريق عمليتي الإلغاء أو القبول، وتمثل أمثلة جديدة من خلال عملية البناء والتكوين المعرفي، فالانتحاء هو توجيه لعملية الكلام كنشاط معرفي، تحتذي فيه أمثلة إجرائية، وليس بأي حال من الأحوال مجرد محاكاة ساذجة لأمثلة قد سبق اكتسابها .

أهمية النحو:

من المسلّم به أن استعمال اللغة واكتسابها، أو تعلّمها إنما يتوقف على معرفة النحو وأحكامه، لأن القواعد كما يرى بعضهم ليست غاية في حدّ ذاتها « فالنحو من علوم الوسائل، وليس من علوم المقاصد، مرماه سلامة الاتصال اللغوي نطقا وكتابة ».

ويبين أبو حيان التوحيدي ضرورة النحو لأداء الكلام على وجهه الصحيح والسليم، فيقول: « إن من يتكلم بالإعراب والصحة، ولا يلحن، ولا يخطئ على السليقة الحميدة والضريبة السليمة قليل أو عزيز، وإن الحاجة شديدة لمن عدم هذه السجية وهذا المنشأ إلى أن يتعلّم النحو ويقف على أحكامه، ويجري على مناهجه، ويفي بشروطه في أسماء العرب وأفعالها وحروفها...».

وهكذا يتضح أن للنحو دورا كبيرا في استقامة الكلام، كما أنه الوسيلة المعينة على فهم مقاصد المتكلّم، فمن زهد في النحو، واحتقره، وأصغر أمره ولم يعترف بالحاجة إليه، فلا ينسى« أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه».

من خلال ما سبق يتبين أن للنحو أهمية كبرى بين مختلف العلوم اللسانية، فلا يمكن الاستغناء عنه؛ ذلك أنه ضروري ليكون القارئ قادرا على التمييز بين الألفاظ المتكافئة في اللفظ « كما أن له الدور المهم في فهم المقروء، وفي الاستماع والتعبير السليم، شفهيا كان أم كتابيا ».

من بين النحاة الأجلاء الذين اعتنوا بالنحو بحثا وتأليفا أبو القاسم الزجاجي؛ حيث بيَّن أهمية وفائدة تعلّم النحو قائلا: « فإن قال قائل: ما الفائدة في تعلم النحو وأكثر الناس يتكلمون على سجيتهم، بغير إعراب، ولا معرفة منهم به، فيفهمون ويفهمون ذلك؟ فالجواب في ذلك أن يقال له: الفائدة فيه الوصول إلى التكلّم بكلام العرب على الحقيقة صوابا غير مبدل ولا مغير، وتقويم كتاب الله عزّ وجلّ، الذي هو أصل الدين والدنيا، والمعتمد، ومعرفة أخبار النبي (ص) وإقامة معانيها على الحقيقة، لأنه لا تفهم معانيها على صحة إلا بتوفيتها حقوقها من الإعراب، وهذا ما لا يدفعه

أحد ممن نظر في أحاديثه (ص) »؛ فبالنحو إذن نتمكن من التكلّم بكلام العرب، والقراءة الصحيحة لما لا يحتمل فسادا وهو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

إذا كانت **الملكة اللغوية** بكاملها، وفي جملتها هي مهارة التصرف في بنى اللغة بما يقتضيه حال الحديث؛ أي القدرة على التبليغ الفعّال بما تواضع أهل اللغة، أو بعبارة أخرى « القدرة على الاتصال اللغوي في جميع الأحوال بما يقتضيه الوضع اللغوي »، فإن **النحو التعليمي** وسيلة لتكوين الملكة اللسانية الصحيحة؛ حيث يقوم بتطويعها، وتكييفها حسب متطلبات الأغراض التعليمية، وهو الذي يهتدي إلى التوازن بين التعبير الشفهي والتعبير الكتابي، حتى لا يحدث خلل أو ركود في إحدى المكونات التي تتصف بالخفة والبعد عن الابتذال، والتركيز على التحكّم في لغة التواصل العادية أو لغة التداول التي تنمّي مهارة التواصل، ومن شأن هذه الأساليب أن تؤدي إلى إبراز نقاط القوة والضعف في العملية التعليمية للوصول إلى اختيار سليم لما ينبغي على مدرس اللغة أن يسلكه.

_ علاقة النحو ببقية فروع اللغة (الصوت، الصرف، البلاغة)

1 . علاقة النحو بالصوت:

من المعروف أن سائر العلوم اللغوية تقوم أساسا على معرفة الأصوات اللغوية وخصائصها، وهذا ما ذهب إليه جلّ علماء اللغة المحدثين؛ نظرا لما تتشكل منه المادة اللغوية من عناصر صوتية وكذا صرفية، ومن الأمثلة التي تبين لنا تلك العلاقة القائمة بين علم النحو وعلم الأصوات دور بعض الظواهر الفوق التركيبية . التي اختص علم الأصوات بدراستها . في التفريق بين أنماط الجمل، فهناك في اللغة العربية جمل تحتوي على أداة الاستفهام، إلاّ أنها لم تأت لغرض الاستفهام، وبالتالي فهي جمل تقريرية، وذلك لا يحدّد إلاّ من خلال التركيز على طريقة القراءة والأداء، وهذا ما تختص به ظاهرة التنغيم التي تعتبر ظاهرة صوتية نطقية بحتة، لها وظيفة نحوية ودلالية؛ إذ أنها تفرق بين معاني الكلام، فالجملة الاستفهامية مثلا تؤدى بطريقة معينة تختلف عن

التي تؤدى بها الإثباتية، حتى وإن استعملت أدوات معينة، كما أنه يستعمل في أغراض عديدة كالتهكم والزجر والدهشة...

ويركز اللغوي "تمام حسان" على أهمية الكلام المنطوق على المكتوب، باعتبار الأول أغنى وأكثر تنوعا من الثاني في قوله:« إن وجود النبر والتنغيم بالذات في الكلام المسموع دون المكتوب يجعل الأول أقدر في الكشف عن ظلال المعنى ودقائقه من الثاني ». كما أن لعلم الأصوات دورا كبيرا في التفريق بين أنماط الجمل، دون أن أنسى دوره الكبير في توجيه الإعراب. كل هذا أدى بالكثير من اللغويين . والدكتور كمال بشر من بينهم . إلى القول بأن:« علم وظائف الأصوات أو الفنولوجيا جزء لا يتجزأ من النحو بمعناه الواسع ».

وبهذا تكون العلاقة بين النحو والصوت علاقة الجزء بالكل، فبالجزء وهو الصوت نتمكن من فهم وإدراك الكل (النحو) فتعريف المتعلّمين بخصائص الأصوات وصفاتها أمر ضروري، لأنه كي يتمكن المتعلّم من نطق التراكيب والجمل، وقراءة النصوص قراءة سليمة، لابد أن يتمكن أولا من نطق الأصوات والحروف نطقا صحيحا.

2 . علاقة النحو بالصرف وضرورة التوفيق بينهما في الممارسة التعليمية:

مما لا شك فيه أن محتوى القواعد (قواعد اللغة العربية) في مختلف مراحل التعليم (ابتدائي، إكمالي، ثانوي) يتضمن مقررات نحوية (أي خاصة بأبواب النحو)، وأخرى خاصة بالصرف، وأن المعلّم يخصص حصصا للنحو، وأخرى للصرف، وهذا التقسيم والتفصيل ولَّد لدى المتعلّمين بعض الإبهام، وخاصة أن بعض الأبواب تتداخل فيما بينها، وبالتالي لا يمكن معالجتها نحويا إذا لم تدرك صرفيا.

وكمثال على ذلك باب الفعل والفاعل في النحو، واسم الفاعل في الصرف، فالتلميذ سوف لن يتمكن من استيعاب الكل وهي منفصلة عن بعضها، علما أن الفاصل الزمني بين هذه الدروس بعيد، (كأن يدرس الفعل والفاعل في أول الشهر، واسم الفاعل في آخره)، ومن صفات اسم الفاعل أنه يعمل عمل فعله (إذا صيغ من فعل لازم فإنه سيكتفي بفاعله، وإن كان من فعل متعدي فسيحتاج إلى مفعول واحد أو أكثر حسب نوع الفعل) وعند الإعراب فاسم الفاعل يعرب حسب موقعه في الجملة، غير أننا نجد معظم التلاميذ يعربونه اسم فاعل، بل هناك من يتساءل لماذا لا

يعرب كذلك ؟ فهنا المعلم سيقف حائرا عاجزا عن التوضيح، ولكن لو نوقش درس اسم الفاعل وعمله، وعلاقته بالفعل والفاعل في حصة واحدة لسهل الأمر على التلاميذ ولزال الإبهام... إلى غيرها من القضايا التي يجد فيها المتعلّم صعوبة في الفهم والاستيعاب، وكذلك الخلط بين القواعد النحوية والصرفية، وخاصة إذا كانت الأمثلة التوضيحية بعيدة عن استعماله اليومي.

3 . علاقة النحو بالبلاغة وضرورة التوفيق بينهما:

إن شرف المعنى وجدته هما من مجال اهتمام البلاغة؛ إذ لا يتم النظر في ذلك إلاّ بعد استقامة معنى الكلام مراعاة للقواعد اللغوية التي تعتبر الطريق المؤدي للبلاغة، فكم من شاعر أو ناظم عيب شعره أو نظمه بسبب إخلاله لقواعد النحو « فالكلام يتفاضل شرط أن يستتم فيها النحو وشروطه »، لذا فإن القواعد النحوية والبلاغية هما عنصران ووجهان لعملة واحدة وهي حصول الإفادة، والإبلاغ الصحيح، والتأثير في المخاطب، ففساد النظم آيل إلى فساد المعنى بالضرورة . والبلاغة تنظر في مطابقة المعنى لمقتضى الحال، ويستقيم الكلام بتوفر الوظائف النحوية، فقد أقر ذلك عبد القاهر الجرجاني في قوله: « واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت له فلا تخل بشيء منها...» .

<u>مفهوم التعليمية</u>: تعني التعليمية الدراسة العلمية لطرائق التدريس وتقنياته، ولأشكال تنظيم حالات التعلم التي يخضع لها المتعلم بغية الوصول إلى تحقيق الأهداف المنشودة، سواء على المستوى العقلي أو الحس حركي، ويقابلها المصطلح الأجنبي .didactique

وتضم العملية التعليمية التعلّمية أربعة عناصر أساسية وهي: المعلّم والمتعلّم والمنهاج والمحتوى، ولكن قبل الحديث عن هذه العناصر الأربعة، من الضروري تقديم تعريف موجز لعمليتي التعليم والتعلّم.

ا . مفهوم التعليم:

أودّ أن أستهل حديثي عن التعليم وأهميته بهذه المقولة، وهي للحكيم الصيني "**كونفوشيوس**": « إذا أردت أن تؤسس لعام فازرع القمح، وإذا أردت أن تؤسس لجيل فشجِّر الأرض، وإذا أردت أن تؤسس للعمر كله فعلِّم الناس».

من خلال هذه الحكمة يتضح أن التعليم أهم ما في الحياة؛ فهو العصب الحسّاس في أي مجتمع من المجتمعات، وهو الحامل الناقل لمفاتيح الوعي في الإنسان والأمة. هذا عن مكانة التعليم أما عن مفهومه، فالتعليم نشاط تواصلي يهدف إلى إثارة التعلّم وتحفيزه، وتسهيل حصوله، سواء باختيار الوسائل الملائمة أو المحتويات والشروط، والطرائق الناجعة حسب ما تقتضيه طبيعة المتعلّم، والمحتوى الدراسي معًا .

ب . التعلّم: التعلّم تغيير يحدث داخل الفرد في سلوكه، وفي مهاراته ومكتسباته السابقة المعرفية منها والحسية والوجدانية، إنه العملية التي يدرك بها الفرد موضوعا ما ويتفاعل معه ويتمثله؛ إذ يتم بفضلها اكتساب المعارف والمهارات وتطوير الاتجاهات والميول سواء أكان هذا الاكتساب متعمدا مقصودا أو بطريقة عفوية، فاللحن الموسيقي الذي أصغي إليه عدة مرات أتعلّمه وأجد نفسي أتغنى به دون أن أقصد تعلّمه، فالتعلم إذًا إما مقصود أو عرضي، إما بسيط أو معقّد.

إن المعلّم الذي هو العنصر الأساسي في العملية التعليمية التعلّمية؛ إذ هو المرشد والموجه ينبغي أن يتوفر على تكوين محكم من الناحيتين:

أولا: المعرفة الواسعة المحيطة بعلوم اللسان العربي إحاطة تجعله مالكا زمام علوم العربية النقلية والعقلية، حتى يتمكن من التصرف والاجتهاد في المادة الأصلية، وحتى يتمكن من العطاء الكامل والشامل.

ثانيا: هذه الملكة اللسانية يجب أن يصحبها تكوين تربوي بيداغوجي يجعل المعلّم مطّلعا على الطرائق والمناهج القديمة والحديثة، متمكنا في علم النفس التربوي والنظريات التعليمية الخاصة بكل فن، ومن البديهي أن يدرك أن لكل لسان خصائصه الصوتية والمعجمية والتركيبية والدلالية. كما

أنه على مدرس اللغة العربية أن يجعل العلاقات الإنسانية الطيبة أساسا لتعامله مع تلاميذه، ويسعى دائما إلى كسب ثقتهم به، فهم بمثابة أبناء له « فحبّ التلاميذ لمدرسهم عنصر هام من عناصر العملية التعليمية الناجحة، فإذا افتقد المعلّم هذا العنصر فعليه أن يعتزل مهنة التعليم ».

أهم الطرائق المعتمدة في تدريس النحو:

هناك طرائق كثيرة تعتمد في تدريس القواعد النحوية .كما سبق وأن أشرت إلى ذلك . والفضل يعود إلى جهود علماء اللسان والتربية، ومع أنه لا توجد طريقة مثلى للتدريس إلاّ أن هناك ثلاث طرائق شائعة في تدريس النحو، وهي: الطريقة القياسية، والطريقة الاستقرائية، وطريقة النص (أو طريقة النصوص المتكاملة)، وسأعرضها بالترتيب مع تقديم بعض الانتقادات التي وجِّهت إليها.

1 . الطريقة القياسية:

وهي التي تبدأ بعرض القاعدة النحوية، ثم بتقديم الشواهد والأمثلة لتوضيحها، وبعد ذلك تعزَّز وترسَّخ في أذهان التلاميذ بتطبيقها (أي تلك القاعدة) على حالات مماثلة، وتعتبر هذه الطريقة من أقدم الطرائق المعتمدة في تدريس النحو، وفيها ينتقل المعلّم من عرض الكل للحكم على الجزء، والقياس أسلوب عقلي يسير فيه الفكر من الحقائق العامة إلى الحقائق الجزئية، فهي بهذا تتطلب عمليات عقلية معقدة.

2 . الطريقة الاستقرائية أو الاستنباطية:

تنسب هذه الطريقة إلى المربي والفيلسوف الألماني (فردريك هربارت) الذي يعتبر أول من حاول تطبيق مبادئ علم النفس في حجرة الدراسة، وقد بناها على عدة مراحل سماها خطوات الدرس، وكل مرحلة من هذه المراحل تحقق غرضا معينا، بغية الوصول في النهاية إلى الغرض العام من التدريس. وتدعى هذه الطريقة استقرائية أو استنباطية، لأن العقل يعتمد في سير الدرس أثناءها على الجزء ليصل إلى الكل، أوعلى التجربة ليصل إلى الحكم، أوعلى الأمثلة ليصل إلى القاعدة.

. 3 . طريقة النصوص المتكاملة:

تقوم هذه الطريقة على الإتيان بنص متكامل، يراعى فيه أن يكون قصيرا، وفي متناول أذهان التلاميذ، حتى لا يقضي المدرس وقتا طويلا في شرحه، فيبدأ الدرس بقراءة التلاميذ للنص، ثم يقوم المعلّم بمحاورتهم ومناقشتهم، ليفهموا معنى النص، وجرّهم بالتالي إلى « ملاحظة الخصائص التي تترجم عن وظيفة الظاهرة النحوية في الكلام، وهي الظاهرة التي يراد دراستها، بحيث يرتكز انتباه التلاميذ على الغرض الوظيفي، والحركة الإعرابية، والعلاقة بينهما وبين المعنى، وعلى ما هو من خصائص القاعدة للانتقال بعد ذلك إلى التطبيق الذي يعتمد هو الآخر نصوصا قصيرة جدا ومتكاملة المعنى». فهذه الطريقة تسير في الخطوات نفسها التي تسير وفقها الطريقة الاستقرائية، غير أن الدرس هنا يستهل بالنص عوض الأمثلة.

خلاصة القول، إن الدرس النحوي يحتاج إلى طريقة تمكنه من فك قيود الطريقة التقليدية، هذه الأخيرة التي تعتمد على تحفيظ القواعد دون تدريب المتعلم على استعمالها في حياته اليومية، فالتدريب والممارسة المتواصلة هما الحلان الوحيدان أمام المعلمين لترسيخ تلك القواعد في أذهان التلاميذ، وقد رأينا أن الطرائق السابقة لم تعرْ اهتماما كبيرا للتطبيق، فهي تتركه إلى غاية نهاية الدرس، وفي أغلب الأحايين يهمل تماما بسبب ضيق الوقت، ولما تعطى كواجب منزلي قلَّما تصحَّح في القسم، والسبب دائما يعود إلى ضيق الوقت. وقد أكد ذلك الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بقوله:« ثم إن الترسيخ (أو التدريب والتطبيق) لم يحظ في هذا السؤال بأي اهتمام، مع أنه هو كل شيء في تدريس اللغة ».

فحتى يتمكن المتعلم من فهم القاعدة النحوية واستيعابها، وبالتالي استعمالها كلّما اقتضت الضرورة لذلك سواء في حياته اليومية أو العلمية، لابد أن يتمرّن ويتدرّب عليها أولا، فالتدريب أو التطبيق هو الأساس في ترسيخ القواعد في أذهان التلاميذ، وليس الاكتفاء بحفظ القوانين والأحكام، ولنا من الكتب القديمة خير أنيس وجليس لترسيخ وفهم النحو العربي(متن الأجرومية وألفية ابن مالك).